التضرع في القرآن الكريم

«دراسة موضوعية»

د. علي بن عبد الرحمن بن إبراهيم النجاشي

الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

البريد الإلكتروني: *aaalnajashi@imamu.edu.sa*

(قدم للنشر في ٠٧/ ٠٧/ ١٤٤١هـ؛ وقبل للنشر في ٢٠/ ١١/ ١٤٤١هـ)

المستخلص: عنوان البحث: التضرع في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)، ويتكون من مقدمة وتمهيد وتسعة مباحث حسب المنهج الاستقرائي الموضوعي على النحو الآتي: المقدمة وفيها أهمية البحث وسببه، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته، وفي البداية عرفت التضرع لغة واصطلاحًا، ثم بينت أن حقيقة التضرع: الخشوع، ثم بينت فضل التضرع في الدعاء والذكر والأمر بهما، ثم ما جاء من تضرع المؤمنين وتضرع الكافرين، ثم بينت أسباب التضرع وموانعه، ثم في مبحث قبل الأخير ذكرت تضرع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم في مبحث أخير تعرضت لحديث القرآن عن التضرع وكيفيات وروده، وفي الخاتمة ظهر من النتائج: أن التضرع يكون من المؤمن والكافر، لكن الكافر إنما يتضرع في حال شدة الضرورة، ثم إذا انكشف ما به عاد لسالف عهده من الجحود والكفر، ومن التوصيات: العناية بأعمال القلوب ومنها التضرع والخشوع، لما فيهما من تزكية النفوس والسمو بها، والارتفاع عن الرذائل والمنكرات.

الكلمات المفتاحية: تضرع، دعاء، ابتهال، قرآن.

***

supplication in holy Quran (objective study)

Dr. Ali A. I. al-najashi

Associate Professor, Department of the Qur'an and its Sciences, College of Fundamentals of Religion, Imam Muhammad bin Saud Islamic University
Email: aaalnajashi@imamu.edu.sa

(Received 02/03/2020; accepted 11/07/2020)

Abstract: The research's title: supplication in holy Quran (objective study), and it consist of introduction and a preface and nine contents according to the subjective reading method in the following order: the introduction which contains the importance of the research and it reason, and previous studies, it's approach, it's plan, and in the beginning I defined supplication in the language and idiom, then a statement that the truth of supplication is reverence, then I clarified the virtue of supplication in prayer and mentioning allah and directing of them, then what came of supplication of believers and supplication of disbelievers, then I clarified the reasons of supplication and it's preventions, then in a before last content I mentioned the supplication of prophets peace be upon them, then in a final content I came across to what Quran says about supplication and the ways it happend, and then in the conclusion the results appeared that: supplication can be from believer and disbeliever, but the disbeliever only supplicates in extreme need, then when it gets clear of him he goes back to what he used to do of denial and disbelieving, and from the recommendations: taking care of worships that's done by heart as supplication and reverence, to what it has of purification of the soul, and getting it away from vices and misdeeds

Key words: supplication, supplication, invocation, Quran.

❋❋❋

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فإن الخضوع لله في الدعاء والذكر والتذلل فيهما لا يكون إلا في لحظات صدق مع الله، وإقبال عليه، وإعراض عمن سواه، وهذه اللحظات حرية بالدراسة والتمحيص، ومعرفة ما يحيط بها من أحوال، وما يكتنفها من دوافع وموانع، وما ينتج عنها من نتائج، وما يترتب عليها من آثار، وذلك من خلال الآيات التي ذُكر فيها التضرع، وقد أمر الله عباده أمراً صريحاً بالتضرع حيث قال سبحانه: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [الأعراف:٥٥] ولهذا رأيت أن أدرس التضرع في الدعاء والذكر في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، من خلال الآيات التي ورد فيها.

*** مشكلة البحث:**

إن العصر الذي نعيشه عصر طغت فيه المادية بكل ألوانها، وتعلق الناس فيها بالأسباب وقل تعلقهم بمسبب الأسباب؛ وحينما تنزل بالعالم أجمع جائحة ويعجز الناس جميعا عن رفعها؛ يثبت لهم أنه لا بد من التعلق بالله سبحانه، والتضرع إليه والإلحاح في الدعاء لكشف البلاء، وجاء في القرآن الكريم حديث عن التضرع في الذكر والدعاء.

*** أهمية الدراسة:**

١- أهمية دراسة أدب التضرع في الدعاء والذكر في القرآن الكريم.

٢- ظهور منهج معين للقرآن الكريم في التضرع في الدعاء والذكر.

٣- بروز بعض هدايات القرآن الكريم في التضرع في الدعاء والذكر.

٤- تَرَسُّمُ خطوات المتضرعين في الدعاء والذكر والاقتداء بهم.

٥- ظهور ضعف مشاهد عند الناس في التضرع إلىٰ الله عند الجوائح والنوازل.

*** أهداف الدراسة:**

١- تحرير مصطلح التضرع وبيان علاقته بالدعاء والذكر.

٢- دراسة المواضع التي ورد فيها التضرع في القرآن الكريم دراسة موضوعية.

٣- بيان أنواع التضرع في القرآن الكريم.

٤- إبراز جوانب من تضرع الأنبياء.

٥- الكشف عن حديث القرآن عن التضرع.

*** الدراسات السابقة:**

لم أعثر علىٰ دراسة خصت التضرع في القرآن الكريم من بين آداب الدعاء، وجل الدراسات عامة في الدعاء في القرآن الكريم وهي كثيرة يصعب حصرها، ولكن علىٰ سبيل المثال منها:

١- الدعاء في القرآن الكريم دراسة موضوعية للباحثة صائمة عبدالغني، وهي عبارة عن رسالة ماجستير تقدمت بها الباحثة لجامعة القرآن الكريم بأم درمان، والرسالة تتحدث عن الدعاء بشكل عام.

٢- مفهوم الإخبات في القرآن الكريم دراسة دلالية موضوعية، للدكتور إياد

الرمضاني في مجلة جامعة الموصل، وبينت الدراسة أن الإخبات صفة من صفات القلب السليم.

٣- الدعاء في القرآن الكريم أساليبه ومقاصده وأسراره، للباحثة بهية بنت حامد اللحياني، وهي رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرىٰ، وتعتني بالجانب اللغوي.

*** منهج البحث:**

سأسلك في هذا البحث المنهج الاستقرائي الموضوعي، وذلك وفق الآتي:

١- جمع الآيات القرآنية التي ورد فيها التضرع في الدعاء والذكر، مع دراسة أقوال المفسرين في بيان معنىٰ الآيات في هذا الموضوع والترجيح والموازنة بينها.

٢- الرجوع في دراسة الموضوع وتفسير آياته إلىٰ ما ورد في السنة، وأقوال سلف الأمة.

٣- تفسير الآيات التي جمعتها في الموضوع ودراستها دراسة موضوعية وتحليل ألفاظها وتبيين مدلولاتها.

٤- الربط بين الآيات لخدمة الموضوع، والتعليق علىٰ ما يحتاج إلىٰ تعليق.

٥- إبراز الجوانب التي عالجها القرآن في موضوع البحث، وبيان أهميتها وتأثيرها، وعلاقتها بمقاصد القرآن الكريم.

٦- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، علىٰ رواية حفص عن عاصم، وأعزوها إلىٰ السور الواردة فيها.

٧- تخريج الأحاديث الواردة في البحث، من مصادرها الأصلية، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بذلك، وإن كانت في غيرهما عزوتها إلىٰ مصدرها مع

ذكر قول المحدثين فيها وحكمهم عليها، وأما الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين فاكتفي بعزوها إلىٰ مصادرها الأصلية.

٨- أنسب الأقوال إلىٰ قائليها مع عزوها إلىٰ موضعها مكتفيـاً باسم الكتاب وجزئه وصفحته، وعدم النقل بالواسطة إلا إذا تعذر الوصول إلىٰ أصل المصدر.

٩- أوثق النقل وأعزوه إلىٰ من نقلت عنه في الهامش، وأحيل إلىٰ المصدر مباشرة، مع ذكر اسم مؤلفه.

١٠- أعزو إلىٰ المصدر في حال النقل منه بالنص: بذكر اسمه والجزء والصفحة، وفي حال النقل منه بالمعنىٰ ولو جزئياً: أصدر ذلك بكلمة (ينظر).

١١- أضبط بالشكل لما يُظن التباسه، وأوضح الغريب من الألفاظ والمصطلحات من خلال المعاجم اللغوية والتخصصية.

١٢- تطبيق قواعد البحث العلمي، واللغوي، والرسم الإملائي وعلامات الترقيم.

❋ خطة البحث:

- **المقدمة:** وفيها مشكلة البحث، وأهميته، وسببه، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.
- **تمهيد:** وفيه بيان ارتباط التضرع بالدعاء والذكر.
- **المبحث الأول:** التضرع تعريفه وحقيقته.
- **المبحث الثاني:** فضل التضرع في الدعاء في القرآن الكريم والأمر به.
- **المبحث الثالث:** فضل التضرع في الذكر في القرآن الكريم ولأمر به.
- **المبحث الرابع:** تضرع المؤمنين في القرآن الكريم.

- **المبحث الخامس:** تضرع الكافرين في القرآن الكريم.
- **المبحث السادس:** أسباب التضرع في القرآن الكريم.
- **المبحث السابع:** موانع التضرع في القرآن الكريم.
- **المبحث الثامن:** تضرع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في القرآن الكريم.
- **المبحث التاسع:** حديث القرآن الكريم عن التضرع.
- **الخاتمة:** فيها أهم النتائج والتوصيات.
- قائمة المصادر والمراجع.

***

تمهيد

الدعاء عبادة لا يجوز صرفها إلا لله وحده، وإنما خلق الله الجن والإنس لعبادته وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]؛ فالغاية من خلق الثقلين عبادة الله وحده، وبعث سبحانه جميع الرسل يدعون إليها، ولا تكون إلا بمعرفة الله، فكلما كان العبد أعرف بربه، كانت عبادته أكمل، فلهذا كان الاشتغال بالطاعة من أهم المهمات، وإن من أشرف أنواع الطاعات: التوجه إلىٰ الله بالدعاء حيث قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠]؛ فأول الآية أمر بالدعاء، وآخرها تحذير عن الاستكبار عن العبادة، وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (الدعاء هو العبادة) ثم قرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ ﴾ [غافر:٦٠][1]، وفي تراكيب ألفاظ هذا الحديث حصر يفيد أن العبادة ليست غير الدعاء، من باب المبالغة، ومعناه أن الدعاء معظم العبادة، كما قال ﷺ: (الحج عرفة)[2]، أي

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند الكوفيين، حديث النعمان بن بشير، (٣٠/ ٣٤٠)، رقم الحديث: (١٨٣٩١)، وأبو داود في سننه، باب الدعاء، (٢/ ٧٦)، حديث رقم: (١٤٧٩)، والترمذي في سننه، أبواب التفسير، باب من سورة المؤمن، (٥/ ٣٧٤) وقال حسن صحيح، حديث رقم: (٣٢٤٧)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند الكوفيين، حديث عبد الرحمن بن يعمر، (٣١/ ٦٤)، حديث رقم: (١٨٧٧٤)، والترمذي في سننه، أبواب الحج، باب من أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج، (٣/ ٢٢٨)، حديث رقم: (٨٨٩)، صححه ابن الملقن في البدر المنير:=

أعظم أركان الحج الوقوف بعرفة[1].

ومن آداب الدعاء: التضرع إلىٰ الله فيه؛ فيدعو بخضوع وتذلل واستكانة وإنابة إلىٰ الله تعالىٰ، قال الإمام النووي في عرضه لآداب الدعاء عند ذكر الأدب السادس: «التضرع والخشوع والرهبة، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]: وقد قال سبحانه: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥]»[2]، وحري بمن كانت هذه حاله من الخضوع لله سبحانه والتذلل بين يديه أن يستجيب الله له، لأنه يدعو غنياً لا ينقص ما عنده مع كثرة العطاء، كريماً ليس لكرمه نظير ولا شبيه، بل هو الأكرم سبحانه، ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق:٣].

وعند الجوائح والشدائد يتأكد الدعاء لكشف البلاء، بل التضرع والإلحاح علىٰ الله في ذلك، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

والذكر كذلك تقترن به الضراعة كما قال تعالىٰ: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

قال النسفي عند تفسير هذه الآية: «هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك»[3].

=(٦/ ٢٣٠)، وصححه الألباني.

(١) ينظر: اللباب لابن عادل: (١٧/ ٧٥)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: (٩/ ٢٢٠)، تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي: (٨١٣).

(٢) الأذكار للنووي: (٣٩٦)، وينظر: شروط الدعاء وموانع الإجابة لسعيد بن وهف: (٣٨).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي: (١/ ٦٢٨).

المبحث الأول

التضرع تعريفه وحقيقته

عند تحديد أي مصطلح يُبدأ بمعرفته عند أهل اللغة ثم اصطلاح الشرع وبعد ذلك تُلتمس حقيقته التي وضع لها، وهنا في هذا المصطلح (التضرع) وأصله ضرع يتفرع معناه الاصطلاحي عن معناه اللغوي، ثم تظهر حقيقته عند العلماء الذين جمعوا بين العناية باللغة وعلوم القرآن.

أولاً: تعريف التضرع لغة واصطلاحاً:

تعريف التضرع لغة:

قال ابن فارس: «الضاد والراء والعين أصل صحيح يدل علىٰ لِينٍ في الشيء، من ذلك ضَرَعَ الرجل ضراعة إذا ذل، ومن الباب ضَرْعُ الشاة وغيره، سمي بذلك لما فيه من لِينٍ»[1]، وفي تاج العروس: ضَرَعَ: اسْتَكانَ، وهو قريب من الخضوع والذُّلِّ، أي: تذَلَّلَ وتَخَشَّعَ، وسأَلَه أَن يُعطِيَهُ، فَهُوَ ضارِعٌ[2].

تعريف التضرع اصطلاحاً:

الضراعة: الذل والخضوع والابتهال، يقال: ضَرَع، يضرعُ ضراعةً: إذا خَضع وذلَّ واستكان، وتضرع إلىٰ الله: ابتهل، وتضرع: تذلل وخشع[3].

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: (٣/ ٣٩٥).

(٢) ينظر: تاج العروس للزبيدي: (٢١/ ٤٠٧).

(٣) ينظر: شمس العلوم لنشوان الحميري: (٦/ ٣٩٦٢)، المصباح المنير للفيومي: (٢/ ٣٦١)، شروط الدعاء لسعيد بن وهف: (٣٨)، شرح الدعاء من الكتاب والسنة لماهر المقدم: (٤٧).

والملاحظ أن الضراعة في الدعاء والذكر تكون في حال لين قلب العبد وخشوعه وخضوعه لله تعالىٰ مع التذلل والانقياد لأمره سبحانه.

ثانيـًا: حقيقة التضرع:

الحقيقة: كل لفظ يبقىٰ علىٰ موضوعه الذي وضعته العرب له بخلاف المجاز، وقيل: ما اصطلح الناس علىٰ التخاطب به، أو هي اسم لما أريد به ما وُضع له[1]، وحقيقة التضرع كما قال الفيروزآبادي عند ذكره لمعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأنعام:٦٣]. قال: «أَي مظهرين الضَّرَاعة، وهىٰ شدّة الفقر إِلىٰ الله تعالىٰ، وحقيقته الخشوع»[2]، وأصل الخشوع كما يقول ابن رجب لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره وحرقته، فإذا خشع القلب تبعه خشوع لجميع الجوارح والأعضاء؛ لأنها تابعة له[3]، وبهذا يتبين ملازمة التضرع للخشوع، فإن الضراعة إلىٰ الله لا تصدر إلا عن خاشع لله متذلل بين يديه، وقد بين الراغب الأصفهاني أن الخشوع هو الضراعة، لكن أكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد علىٰ الجوارح؛ أي أنه يظهر عليها ويمكن رؤية أثره باديـًا واضحـًا علىٰ الأعضاء، فالعين تدمع، والصوت يختلج، والصدر يكون له أزيز، أما الضراعة فأكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب من الانكسار والخضوع لله سبحانه[4].

واحتراز الراغب الأصفهاني بقوله إن أكثر ما يستعمل الخشوع في الجوارح خروجـًا من القصر عليها بالنظر إلىٰ آية سورة الحديد في قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ

(١) ينظر: التعريفات للجرجاني: (٩٠)، التعريفات الفقهية لمحمد عميم: (٨٠).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: (٣/ ٤٧٣).

(٣) ينظر: مجموع رسائل ابن رجب: (١/ ٢٩٠).

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: (٢٨٣).

ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الحديد:١٦]؛ فالخشوع هنا خشوع القلب، ففي الآية الحث علىٰ الاجتهاد في خشوع القلب لذكر الله تعالىٰ ويشمل القرآن وسائر أنواع الذكر، ولما أنزله من الحق الذي قيل أيضًا إنه القرآن، ومعنىٰ الخشوع له الانقياد التام لأوامره ونواهيه، والعمل بما فيه من الأحكام، سابقها ولاحقها[1].

وكذلك عدم قصر الضراعة علىٰ القلب لما جاء من دعاء الضراعة في سورة الأنعام وغيرها، في قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام:٦٣] حيث تبين في الآية أن من الدعاء ما يكون بتضرع، والدعاء قد يخالطه فعل الجوارح، من الكلام باللسان، ورفع اليدين، واستقبال القبلة، وغير ذلك.

قال محمد رشيد رضا في بيان حقيقة التضرع: «التضرع تفعل من الضراعة معناه تكلفها أو المبالغة فيها أو إظهارها...، وهي مصدر ضرع كخشع إذا ضعف وذل، وتلوىٰ وتململ، ومأخذها من قولهم ضرع إليهم إذا تناول ضرع أمه، وإن حاجة الصغير من الحيوان والإنسان إلىٰ الرضاع من أمه لمن أشد مظاهر الحاجة والافتقار بشعور الوجدان إلىٰ شيء واحد لا يتوجه إلىٰ غيره معه، ولذلك خص استعمال التضرع في التنزيل بمواطن الشدة مثل آية سورة الأنعام قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ۝٤٢ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٣]»[2].

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود: (٨/ ٢٠٨)، محاسن التأويل للقاسمي: (٩/ ١٤٧)، تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي: (٨٤٠).

(٢) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: (٨/ ٤٠٦).

المبحث الثاني
فضل التضرع في الدعاء في القرآن الكريم والأمر به

جاءت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة مبينة لفضل الدعاء بصفة عامة، وموضحة لمكانته، وخص التضرع به بآيات تحث عليه، وترغب فيه، منها ما يحث صراحة علىٰ التضرع في الدعاء، ومنها ما يذم من ترك التضرع عند الشدة ونزول العذاب، فمن الآيات العامة في فضل الدعاء والحث عليه قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [غافر:٦٥]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ليس شيء أكرم علىٰ الله من الدعاء)(١)، ومن كرمه علىٰ الله وعلو منزلته عنده سبحانه أن يستجيب له، ويأجر عليه، ويدفع من البلاء ما يماثله.

وقد أمر سبحانه بالتضرع في الدعاء في آية سورة الأعراف عند قوله تعالىٰ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥] أي ادعوه دعاءً حال التضرع، أو كونوا في تلك الحال ذوي تضرع وخفيه، يقول القاسمي في بيان اقتران التضرع وإخفاء الدعاء عند تفسير هذه الآية: «وإنما طلب الدعاء مع تينك الحالتين

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، حديث رقم: (٧٨٤٨)، (١٤/ ٣٦٠)، والبخاري في الأدب المفرد، باب فضل الدعاء، حديث رقم: (٧١٢)، (ص٢٤٩)، وابن ماجة في سننه، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، حديث رقم: (٣٨٢٩)، (٢/ ١٢٥٨)، والترمذي في سننه، أبواب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، حديث رقم: (٣٣٧٠)، (٥/ ٤٥٥) وقال حديث حسن غريب، حسنه الألباني، صحيح الأدب المفرد للألباني: (٢٦٥).

لأن المقصود من الدعاء أن يشاهد العبد حاجته وعجزه وفقره لربه ذي القدرة الباهرة، والرحمة الواسعة، وإذا حصل له ذلك، فلا بد من صونه عن الرياء، وذلك بالاختفاء، وتوصلا للإخلاص»[1].

ومن خلال هذه الآية يظهر الاقتران بين التضرع وإخفاء الدعاء، بل إخفاء العمل كله، وقد أورد الطبري عند تفسيره للآية كلاماً نفيساً عن إخفاء العمل، ويدخل في هذا العمل الاجتهاد في الدعاء، ورواه بسنده عن الحسن البصري، حيث يقول: «إن كان الرجل لقد جمع القرآن، وما يشعر جاره، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير، وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزَّوْر، وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقوامًا ما كان علىٰ الأرض من عمل يقدرون علىٰ أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يُسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله يقول: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗۚ﴾، وذلك أن الله ذكر عبدًا صالحًا فرضي فعله فقال: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ [مريم:٣]»[2].

ومناسبة آية الأمر بالتضرع في الدعاء لما قبلها أن الله تعالىٰ لما ذكر تفرده بالخلق والأمر المقتضي لتفرده بالعبادة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤] أردف ذلك بالأمر بالدعاء الذي هو العبادة[3].

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي: (٥/ ١٠٢).

(٢) جامع البيان للطبري: (١٢/ ٤٨٥).

(٣) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: (٧/ ٤١٨).

ومن هدايات الآية أنه يتعين علىٰ المؤمن أن يدعو ربه بتضرع وخشوع، مع البعد عن الرياء حتىٰ يستجيب الله سبحانه الدعاء[1].

وجاءت آيات تذم من أخذه الله بالعذاب ثم هو مازال في غيه وإعراضه ولم يتضرع إلىٰ الله بالدعاء، وآيات سورة المؤمنون وردت في سياق ذم الكفار المعاندين لرسول الله ﷺ، ثم حينما أخذهم الله بالعذاب لم يتضرعوا، جاء ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون:٧٦].

وفي سبب نزولها عن ابن عباس ﷺ قال: جاء أبو سفيان إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم، فقد أكلنا العلهز، يعني: الوبر بالدم، فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون:٧٦][2]، وأصل الحديث في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ دعا علىٰ قريش حين استعصوا فقال: (اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف)... الحديث[3].

***

(١) ينظر: المختصر في تفسير القرآن الكريم لمجموعة من علماء التفسير بمركز تفسير: (١٥٧).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ، كتاب التفسير، سورة المؤمنون، حديث رقم: (١١٢٨٩)، (١٠/ ١٩٤)، وصحيح ابن حبان، باب الأدعية، ذكر السبب الذي من أجله أنزل الله ﷻ: ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون:٧٦]، حديث رقم: (٩٦٧)، (٣/ ٢٤٧) وصححه، وفيه راو قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: وثقه النسائي وغيره وضعفه أبو حاتم: (٧/ ٧٣)، قال الألباني صحيح الإسناد.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الروم، حديث رقم: (٤٧٧٤)، (٦/ ١١٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان، حديث رقم: (٢٧٩٨)، (٤/ ٢١٥٥)، وينظر: فتح القدير للشوكاني: (٣/ ٥٨٥).

المبحث الثالث

فضل التضرع في الذكر في القرآن الكريم ولأمر به

وفي الحث علىٰ الذكر علىٰ وجه العموم جاء قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤١].

فعن ابن عباس ﷺ في هذه الآية قال: «لا يفرض علىٰ عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلومـًا، ثم عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر فإن الله لم يجعل له حداً ينتهي إليه ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوبـًا علىٰ عقله، قال: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾ [النساء:١٠٣] بالليل والنهار في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنىٰ والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلىٰ كل حال»[1].

وجاء الأمر بالتضرع في الذكر في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥] الأمر في الآية للنبي ﷺ، ويعم جميع أمته، لأن ما خوطب به النبي ﷺ ولم يكن من خصائصه فإنه مشروع لأمته، فهو أمر من الله بتسبيحه وتحميده وتمجيده، والثناء عليه بما هو أهله[2].

وهذا الذكر إما أن يخص بقراءة القرآن في الصلاة ويؤيده السياق، حيث يظهر التناسب مع الآية التي قبلها وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ

(١) جامع البيان للطبري: (٢٠/ ٢٨٠)، تفسير ابن أبي حاتم: (٩/ ٣١٣٨).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية: (٢/ ٤٩٤)، لباب التأويل للخازن: (٢/ ٢٨٧)، محاسن التأويل للقاسمي: (٥/ ٢٤٧).

لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٤]، وهو مروي عن ابن عباس ﷺ[١]، وقراءة القرآن ذكر ولا شك، وقد يخص الذكر بالتسبيح والتهليل والتحميد، وهذا مروي عن زيد بن أسلم[٢]، وقراءة القرآن من أفضل الذكر، سواء كان ذلك في الصلاة أو خارجها، والأجور المرتبة علىٰ التلاوة مشهورة، منها قوله ﷺ: (من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)[٣].

والذكر حقيقة - كما يقول ابن عاشور - في ذكر اللسان، وهو المراد هنا، ويعضده في الآية قوله: ﴿ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ وذلك يشمل قراءة القرآن، وغير القرآن من الكلام الذي فيه تمجيد الله وشكره ونحو ذلك، مثل كلمة التوحيد والحوقلة والتسبيح والتكبير والدعاء ونحو ذلك، ومناسبة الآية لما قبلها كما يقول ابن عاشور أيضًا أن أمر الناس باستماع القرآن يستلزم أمر الرسول ﷺ بقراءة القرآن عليهم قراءة جهرية يسمعونها، فلما فرغ الكلام من حظ الناس نحو قراءة الرسول ﷺ، أقبل علىٰ

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي: (٤/ ٣٢٢)، ومعالم التنزيل للبغوي: (٣/ ٣٢١).

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: (٥/ ١٦٤٧).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه، أبواب فضائل القرآن، باب فيما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ماله من الأجر، حديث رقم: (٢٩١٠)، (٥/ ١٧٥)، قال ابن حجر في المطالب العالية: رجح الدارقطني وقفه. وله حكم الرفع لأنه إخبار عن مغيب ولا مجال للرأي فيه، ثم قال: ولا يمنع أن يكون ابن مسعود ﷺ، قد حدث به تارة مرفوعًا، وتارة موقوفًا كما هي عادة الأولين: (١٤/ ٣١٦)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: (٢/ ١١٠٣).

الكلام في حظ الرسول ﷺ من القرآن وغيره، وهو التذكر الخاص به، فأمر بأن يذكر الله ما استطاع وكيفما تسنىٰ له، وفي أوقات النهار المختلفة[1].

وليس ذكر الله في النفس مجرداً؛ بل المراد بذكر الله في نفسه كونه عارفا بمعاني الأذكار التي يقولها بلسانه، مستحضراً لصفات الكمال والعز والعلو والجلال والعظمة، وذلك لأن الذكر باللسان إذا كان عارياً عن الذكر بالقلب كان عديم الفائدة[2].

وفي بيان تخصيص الرب دون سائر الأسماء الحسنىٰ في هذه الآية يقول الرازي أيضاً: «﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ ﴾ ولم يقل: واذكر إلهك ولا سائر الأسماء، وإنما سماه في هذا المقام باسم كونه ربا، وأضاف نفسه إليه، وكل ذلك يدل علىٰ نهاية الرحمة والتقريب والفضل والإحسان، والمقصود منه، أن يصير العبد فرحاً مبتهجاً عند سماع هذا الاسم، لأن لفظ الرب مشعر بالتربية والفضل»[3].

وقد بنىٰ الخازن علىٰ هذا لطيفة تفسيرية باقتران الخوف والرجاء في حال الذكر من خلال هذه الآية، حيث قال: «وهاهنا لطيفة وهي أن قوله ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ ﴾ فيه إشعار بقرب العبد من الله ﷻ، وهو مقام الرجاء؛ لأن لفظ الرب مشعر بالتربية والرحمة والفضل والإحسان، فإذا تذكر العبد إنعام الله عليه وإحسانه إليه، فعند ذلك يقوىٰ مقام الرجاء، ثم أتبعه بقوله: ﴿ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ وهذا مقام الخوف، فإذا

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: (٩/ ٢٤١).

(٢) ينظر: التفسير الكبير للرازي: (١٥/ ٤٤٢).

(٣) المرجع السابق: (١٥/ ٤٤٣).

حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجاء قوي إيمانه، والمستحب أن يكون الخوف أغلب علىٰ العبد في حال صحته وقوته، فإذا قارب الموت ودنا آخر أجله فيستحب أن يغلب رجاؤه علىٰ خوفه»[1].

❊ ❊ ❊

(١) لباب التأويل للخازن: (٢/ ٢٨٧).

المبحث الرابع
تضرع المؤمنين في القرآن الكريم

إن حال المؤمن في ذكره ودعائه حال المخبت المنيب الوجل المستكين، مع الإخلاص والرهبة، والرغبة إلىٰ الله سبحانه، لأنه يعرف أن الله وحده المتفرد بالتدبير، والمستحق وحده دون من سواه أن يفرد بالعبادة بكامل أنواعها وأصنافها، فلا يصرف شيء منها إلا له، والدعاء والذكر كما سبق من أجل العبادات، وقد ورد الحديث عن تضرع المؤمنين في آيتين من كتاب الله، وكلتاهما في سورة الأعراف كما يلي:

الآية الأولىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [الأعراف:٥٥] جاء في الآية أمر المؤمنين بالدعاء والتعبد لله به، ثم قرن سبحانه بهذا الأمر صفات للمأمور به تحسنه ويرتفع بها درجات، وهي التضرع مع الإخلاص، فالمؤمن في تضرعه بالدعاء يظهر فقره وحاجته إلىٰ مولاه، ويظهر في ذات الوقت إيمانه بأن الله هو القادر العليم الرحيم، مع الإخلاص لله في هذا كله، يقول الرازي في بيان ذلك: «اعلم أن المقصود من الدعاء أن يصير العبد مشاهدا لحاجة نفسه ولعجز نفسه، ومشاهدا لكون مولاه موصوفاً بكمال العلم والقدرة والرحمة، فكل هذه المعاني دخلت تحت قوله: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا ﴾ ثم إذا حصلت هذه الأحوال علىٰ سبيل الخلوص، فلا بد من صونها عن الرياء المبطل لحقيقة الإخلاص، وهو المراد من قوله تعالىٰ: ﴿وَخُفۡيَةٗۚ﴾ والمقصود من ذكر التضرع تحقيق الحالة الأصلية المطلوبة من الدعاء، والمقصود من ذكر الإخفاء صون ذلك الإخلاص عن شوائب الرياء»[1].

(١) التفسير الكبير للرازي: (١٤/ ٢٨٠)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٧/ ٢٢٣).

ففي الآية أمر بإفراد الله بالعبادة ثم تذلل له بهذه العبادة ثم إخلاص وابتعاد عن الرياء، يقول الطبري في تفسيره للآية: «يقول تعالىٰ ذكره: ﴿ٱدۡعُواْ﴾، أيها الناس، ربكم وحده، فأخلصوا له الدعاء، دون ما تدعون من دونه من الآلهة والأصنام، ﴿تَضَرُّعًا﴾، يقول: تذلُّلا واستكانة لطاعته ﴿وَخُفۡيَةً﴾ يقول بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه، لا جهاراً ومراءاةً، وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته، فعلَ أهل النفاق والخداع لله ولرسوله»(١).

ثم ختمت الآية بذكر أمر يعارض التضرع وهو الاعتداء، علىٰ سبيل التحذير منه، وجاء في السنة بيان شيء من معنىٰ الاعتداء في الدعاء، فعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه أنه سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة، إذا دخلتها، فقال: يا بني، سل الله تعالى الجنة، وعُذْبه من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور)(٢)، وبين ابن القيم أنواعاً من الاعتداء في الدعاء حيث قال: «فالاعتداء بالدعاء تارة بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من الإعانة علىٰ المحرمات، وتارة بأن يسأل ما لا يفعله الله، مثل: أن يسأله تخليده إلىٰ يوم القيامة، أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية من الحاجة إلىٰ الطعام والشراب، أو يسأله أن يطلعه علىٰ غيبه، أو يسأله أن يجعله من المعصومين، أو يسأله أن يهب له ولداً من غير زوجة

(١) جامع البيان للطبري: (١٢/ ٤٨٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند البصريين، حديث عبدالله بن مغفل المزني، حديث رقم: (٢٠٥٥٤)، (٣٤/ ١٧٣)، سنن أبي داود، باب الدعاء: (٢/ ٧٧) بدون لفظ الطهور، وسكت عنه، وقد قال في رسالته لأهل مكة: كل ما سكت عنه فهو صالح، صححه الألباني في مشكاة المصابيح: (١/ ١٣١).

ولا أمة، ونحو ذلك مما سؤاله اعتداء، فكل سؤال يناقض حكمة الله أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره أو يتضمن خلاف ما أخبر به فهو اعتداء لا يحبه الله ولا يحب سائله... ومن العدوان أن يدعوه غير متضرع، بل دعاء مدل كالمستغني بما عنده المدل علىٰ ربه به، وهذا من أعظم الاعتداء المنافي لدعاء الضارع الذليل الفقير المسكين من كل جهة في مجموع حالاته، فمن لم يسأل مسألة مسكين متضرع خائف فهو معتد»[1].

الآية الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥] جاء في الآية أمر المؤمنين بالذكر، كما تقرر سابقًا بأن الأمر للنبي ﷺ ويعم جميع أمته، والمقصود أمة الإجابة.

والملاحظ أن التضرع جاء في الدعاء والذكر، لكن قُرن الدعاء بالإخفاء: ﴿وَخُفۡيَةً﴾ وقُرن الذكر بالخوف: ﴿وَخِيفَةً﴾ وفيه لطيفة بيانية، كما ذكر ابن القيم، وذلك لداعي الإخلاص والابتعاد عن الرياء في الدعاء وحكم أخرىٰ فإن الدعاء يكون بخفاء، وخص الذكر بالخوف لأن كثرة الذكر تورث المحبة، والمحبة ما لم تقترن بالخوف فإن صاحبها قد يغتر بعمله ويدلي به علىٰ الله، يقول ابن القيم: «ذكر التضرع فيهما معا وهو التذلل والتمسكن والانكسار، وهو روح الذكر والدعاء،... وخص الذكر بالخيفة لحاجة الذاكر إلىٰ الخوف، فإن الذكر يستلزم المحبة ويثمرها ولا بد، فمن أكثر من ذكر الله تعالىٰ أثمر له ذلك محبته، والمحبة ما لم تقرن بالخوف فإنها لا تنفع صاحبها بل قد تضره، لأنها توجب الإدلال والانبساط، وربما آلت بكثير من الجهال المغرورين إلىٰ أنهم استغنوا بها عن الواجبات، وقالوا المقصود من العبادات إنما هو

(١) بدائع الفوائد لابن القيم: (٣/ ١٣)، وينظر: الاعتداء في الدعاء (صور وضوابط ونماذج من الدعاء الصحيح): سعود العقيلي.

عبادة القلب وإقباله علىٰ الله ومحبته له وتألهه له، فإذا حصل المقصود فالاشتغال بالوسيلة باطل»[1].

وتضمنت الآية أيضاً آداباً خمسة للذكر، كما يلي:

الأول: أن يكون في نفسه، من قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ ﴾ لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص، وأقرب إلىٰ الإجابة، وأبعد من الرياء.

الثاني: أن يكون علىٰ سبيل التضرع، من قوله تعالىٰ: ﴿ تَضَرُّعًا ﴾ وهو التذلل والخضوع والاعتراف بالتقصير، ليتحقق فيه ذلة العبودية لعزة الربوبية.

الثالث: أن يكون علىٰ وجه الخيفة من قوله تعالىٰ: ﴿ وَخُفۡيَةً ﴾ أي الخوف والخشية من سلطان الربوبية، وعظمة الألوهية، من المؤاخذة علىٰ التقصير في العمل، لتخشع النفس، ويخضع القلب.

الرابع: أن يكون دون الجهر من قوله تعالىٰ: ﴿ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ لأنه أقرب إلىٰ حسن التفكر.

الخامس: أن يكون علىٰ وجه المداومة مع البعد عن الغفلة لقوله تعالىٰ: ﴿ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾[2].

***

(١) بدائع الفوائد لابن القيم: (٣/ ١٠).

(٢) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي: (٥/ ٢٤٧).

المبحث الخامس
تضرع الكافرين في القرآن الكريم

الدعاء والذكر عبادتان لا يتصور صدورهما عن كافر، علىٰ جهة التعبد لله تعالىٰ، ولكن عند الشدائد قد يلجأ الكافر إلىٰ الخروج مما وقع فيه بإخلاص الدعاء والتضرع لله سبحانه، ثم إذا نجاه الله منه فإنه بعد ذلك يعود لحاله من الكفر والإعراض كما ذكر الله تعالىٰ في مواضع عديدة من القرآن الكريم، وفي آيتين ورد فيهما تضرع الكافرين ذكَّر سبحانه قبلهما بأدلة وحدانيته ثم جاء النص بعدها علىٰ تضرع الكفار عندما تعصف بهم الشدائد في قوله تعالىٰ: ﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٣ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٣-٦٤].

والظاهر الواضح أن المقصود بالآيتين أهل الشرك دون أهل الإيمان، يقول ابن عاشور في تفسيره لهما: «ولما كان هذا الكلام تهديداً وافتتح بالاستفهام التقريري، تعين أن المقصود بضمائر الخطاب المشركون دون المسلمين، وأصرح من ذلك قوله: ﴿ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴾»[1].

ومقصد الآيتين دعوة الكفار إلىٰ عبادة الله ودعائه والتضرع إليه في الرخاء كما هو حالهم في الشدة، والطعن في إلهية تلك الأصنام بل التعلق بشيء مما سوىٰ الله في طريق العبودية، ولفظ الآية يدل علىٰ أنه عند حصول هذه الشدائد يأتي الإنسان بأمور: أحدها: الدعاء، وثانيها: التضرع، وثالثها: الإخلاص بالقلب، وهو المراد من قوله:

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: (٧/ ٢٨٠).

وخُفية، ورابعها: التزام الاشتغال بالشكر، وهو المراد من قوله: ﴿لَّئِنْ أَنجَيْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ثم بين تعالىٰ أنه ينجيهم من تلك المخاوف، ومن سائر موجبات الخوف والكرب، ثم إن ذلك الإنسان يقدم علىٰ الشرك، فوبخهم الله في دعائهم إياه عند الشدائد، وهم يدعون معه في حالة الرخاء غيره بقوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ فهذا تقريع وتوبيخ، لأن الحجة إذا قامت بعد معرفة الله وجب الإخلاص، وهم قد جعلوا بدلاً منه وهو الإشراك، فحسن أن يقرعوا ويوبخوا علىٰ هذه الجهة وإن كانوا مشركين قبل النجاة[1]، والملاحظ في هذا الموضع أن الكفار قد تضرعوا ولكنه تضرع لمصلحة، لم يلبثوا بعده حتىٰ عادوا لشركهم، وقد جاء في القرآن الكريم أن الكفار دُعوا إلىٰ التضرع وأحاطت بهم الشدائد فلم يتضرعوا، وذلك في ثلاثة مواضع في أربع آيات من كتاب الله علىٰ النحو التالي:

أولاً: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٣] فقد أرسل الله إلىٰ أمم سابقة رسلاً يدعونهم إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، فكذب القوم رسلهم، فسلط الله عليهم الفقر والأمراض والمصائب، لكي يرجعوا عن غيهم ويتضرعوا إلىٰ ربهم، ولكن منعهم من التضرع ما عندهم من قسوة القلوب وتلبيس الشيطان عليهم، حتىٰ اعتقدوا أن ما هم عليه هو الحق[2].

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي: (١٣/ ٢٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٧/ ٨)، تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: (٧/ ٤٠٦).

(٢) ينظر: لباب التأويل للخازن: (٢/ ١١٢)، تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي: (٢٥٦).

وقد ذكر ابن عطية أن في الكلام حذفًا دل عليه الظاهر، والتقدير كذبوا فأخذناهم، أي لازمناهم المصائب في الأموال والأبدان، وبين أن (لعل) علىٰ الترجي في معتقد البشر، فلو رأىٰ أحد ذلك الذي أصابهم لرجا تضرعهم بسببه، وإلا فالله تعالىٰ عالم بما سيؤول إليه الأمر(١).

وفي الآيتين تسلية للنبي ﷺ، بأن الله تعالىٰ أرسل إلىٰ أمم قبله رسلاً فكذبوا فأخذهم الله بما وصف من العذاب، وهي متصلة بالآيات السابقة، فحيث سلك الكفار المكذبون للنبي ﷺ مسلك من كان قبلهم من الأمم في التكذيب فهم عرضة لأن ينزل بهم من البلاء ما نزل بتلك الأمم، ثم يكون مصيرهم كمصير من سبقهم، وفي الآية الثانية جاء التثريب علىٰ ترك التضرع، وإخبار عنهم أنهم لم يتضرعوا حين نزول العذاب، ويجوز أن يكونوا تضرعوا تضرع من لم يخلص، أو تضرعوا حين لابسهم العذاب، والتضرع علىٰ هذه الوجوه غير نافع، والدعاء مأمور به حال الرخاء والشدة(٢).

وفي فائدة بلاغية عن ورود لولا في صدر الآية الثانية قال الزمخشري: «جاء بلولا ليفيد أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع إلا عنادهم وقسوة قلوبهم، وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان»(٣).

ثانيًا: قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف:٩٤] وردت هذه الآية بعد ذكر قصص خمس أمم كذبت رسلها، وهم قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط، وأصحاب الأيكة مع شعيب، عليهم

(١) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية: (٢/ ٢٩١).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٦/ ٤٢٥).

(٣) الكشاف للزمخشري: (٢/ ٢٣).

وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام أجمعين، والقصد منها أخذ العبرة بتلك الأمم؛ موعظة لكفار العرب الذين صدوا دعوة الرسول ﷺ وحاربوها بكل وسيلة، وأن مصيرهم إن كذبوا ولم يؤمنوا مصير من كذب من الأمم التي جاءت قبلهم(١).

وبين ابن عاشور سبب تخصيص القرىٰ دون البوادي حيث قال: «وتخصيص القرىٰ بإرسال الرسل فيها دون البوادي، كما أشارت إليه هذه الآية وغيرها من آي القرآن، وشهد به تاريخ الأديان، ينبئ أن مراد الله تعالىٰ من إرسال الرسل هو بث الصلاح لأصحاب الحضارة التي يتطرق إليها الخلل بسبب اجتماع الأصناف المختلفة، وأن أهل البوادي لا يخلون عن الانحياز إلىٰ القرىٰ والإيواء في حاجاتهم المدنية إلىٰ القرىٰ القريبة»(٢)، والقرية هي المدينة، قال الزجاج: «يقال لكل مدينة قرية، وإنما سميت بأنه يجتمع فيها الناس، يقال قريت الماء في الحوض إذا جمعته فيه، فسميت قرية لاجتماع الناس فيها»(٣)، وأهلها المقصود الذين كذبوا، والبأساء هي المصائب في المال والهموم وعوارض الزمن، والضراء المصائب في البدن كالأمراض ونحوها، وقيل إن البأساء والضراء تتداخل فتقال كل واحدة علىٰ المعنيين، والترجي في لعل - مثلما سبق في الموضع الأول- بحسب اعتقاد البشر(٤)، (يضرعون) هي يتضرعون ولكن أدغمت التاء في الضاد لتقارب مخرجهما وأقيم التشديد مقامه، والمعنىٰ: لكي يدعوا ربهم ويؤمنوا بالرسل ويعرفوا ضعف ما يعبدون

(١) ينظر: لباب التأويل للخازن: (٢/ ٢٣٠)، التحرير والتنوير لابن عاشور: (٩/ ١٦).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور: (٩/ ١٦).

(٣) معاني القرآن للزجاج: (٢/ ٣٥٩).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية: (٢/ ٤٣١).

من دون الله[1].

ثالثًا: قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون:٧٦] الموضعان السابقان في الأنعام والأعراف كان الداعي يدعو القوم إلىٰ التضرع ولازمهم البلاء في الأموال والأنفس رجاء أن يتضرعوا ولكن لم يحصل منهم ذلك، أما هذا الموضع ففيه الإخبار بما حصل لكفار مكة – كما سبق في سبب نزولها –، وما نزل بهم من الجوع ومع ذلك لم يخضعوا لربهم ولم يرغبوا إليه بالدعاء والطاعة[2].

وقد اجتمع علىٰ هؤلاء الكفار أصناف العذاب من الضيق في المعيشة والجدب في الديار والقتل بالسيف والأسر يوم بدر، وإن كان ابن عطية يستبعد دخول يوم بدر لتقدمه علىٰ المجاعة ورجح أن يكون التوعد بعذاب غير معين، ولكن الذي يظهر لي أنه لا يمنع دخوله؛ حيث يكون المجال هنا لتعديد أصناف العذاب الذي وقع وإن مضت عليه مدة، وما وقع بهم مقدمات للعذاب وليس العذاب كله، تنبيهًا لهم لكي يرتدعوا عن الكفر والعصيان ومحادتهم لله ورسوله[3].

﴿ٱسْتَكَانُوا۟﴾: معناه انخفضوا وتواضعوا، واستكان استفعل لأن الخاضع ينتقل من كون إلىٰ كون، كما قيل استحال إذا انتقل من حال إلىٰ حال، فينتقل الكافر من

(١) ينظر: جامع البيان للطبري: (١٢/ ٥٧٣)، تفسير السمرقندي: (١/ ٥٣٤).

(٢) ينظر: تفسير السمرقندي: (٢/ ٤٨٧).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري: (١٩/ ٦٠)، المحرر الوجيز لابن عطية: (٤/ ١٥٢)، روح البيان لإسماعيل حقي: (٦/ ٩٨).

كون الاستكبار والجحود إلىٰ كون الإيمان والخضوع[1].

﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾: أي أنهم لا يخشعون لله تعالىٰ في الشدائد عند إصابتها لهم، ولا يدعونه لرفع ذلك عنهم، ولا يتذللون له سبحانه[2].

وفي نكتة بلاغية حول مجيء استكانوا بلفظ الماضي ويتضرعون بلفظ المستقبل يقول الرازي: «لِمَ جاء استكانوا بلفظ الماضي ويتضرعون بلفظ المستقبل؟ الجواب: لأن المعنىٰ امتحناهم فما وجدنا منهم عقيب المحنة استكانة، وما من عادة هؤلاء أن يتضرعوا حتىٰ يفتح عليهم باب العذاب الشديد»[3].

***

(١) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية: (٤/ ١٥٢)، أنوار التنزيل للبيضاوي: (٤/ ٩٢)، روح البيان لإسماعيل حقي: (٦/ ٩٨).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري: (١٩/ ٦٠)، فتح القدير للشوكاني: (٣/ ٥٨٤).

(٣) التفسير الكبير للرازي: (٢٣/ ٢٨٨).

المبحث السادس
أسباب التضرع في القرآن الكريم

للتضرع في الدعاء والذكر أسباب تلتمس من خلال الآيات التي ورد فيها، ويمكن حصرها في ثلاثة أسباب علىٰ النحو الآتي:

أولاً: أمر الله تعالىٰ عباده بالتضرع في الدعاء والذكر:

ويستنبط هذا السبب من الأمر الوارد في آيتين سبق الحديث عنهما، الأولىٰ جاء فيها الحث علىٰ التضرع في الدعاء، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥] فقد جاء الأمر فيها صريحًا للتضرع بالدعاء؛ فالاستجابة لأمر الله في ذلك من أسباب التضرع بالدعاء، فالعبد المؤمن يتضرع إلىٰ الله في دعائه مستجيبًا لأمر مولاه راغبًا في مثوبته وفضله، يقول الخازن في بيان الاستجابة لهذا الأمر والتعبد لله به: «الدعاء هو السؤال والطلب وهو نوع من أنواع العبادة لأن الداعي لا يقدم علىٰ الدعاء إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلىٰ ذلك المطلوب، وهو عاجز عن تحصيله، وعرف أن ربه ﷻ يسمع الدعاء ويعلم حاجته، وهو قادر علىٰ إيصالها إلىٰ الداعي، فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص، ويعرف ربه بالقدرة والكمال، وهو المراد من قوله تعالىٰ: ﴿تَضَرُّعًا﴾ يعني ادعوا ربكم تذللاً واستكانة، وهو إظهار الذل في النفس والخشوع، يقال: ضرع فلان لفلان إذا ذل له وخشع»[1].

(١) لباب التأويل للخازن: (٢/ ٢١٠).

والآية الثانية ورد فيها الحث علىٰ التضرع في الذكر، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥] وهنا أيضًا جاء الأمر صريحًا بذكر الله مع التضرع في ذلك، والاستجابة لهذا الأمر من أسباب التضرع في الذكر، وقد قيد ابن جرير الذكر هنا عند سماع القرآن في صلاة أو خطبة معتمداً علىٰ سياق الآيات[1]، وسبقه بذلك عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وتعقبهما ابن كثير وأبطل ما ذهبا إليه حيث قال: «وقد زعم ابن جرير، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم قبله: أن المراد بهذه الآية: أمر السامع للقرآن في حال استماعه بالذكر علىٰ هذه الصفة، وهذا بعيد مناف للإنصات المأمور به، ثم المراد بذلك في الصلاة، أو الصلاة والخطبة، ومعلوم أن الإنصات إذ ذاك أفضل من الذكر باللسان، سواء كان سراً أو جهرا، فهذا الذي قالاه لم يتابعا عليه، بل المراد الحض علىٰ كثرة الذكر من العباد بالغدو والآصال، لئلا يكونوا من الغافلين؛ ولهذا مدح الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون»[2].

ثانيًا: طلب النجاة عند حصول الشدائد:

من الأسباب المؤدية إلىٰ التضرع بالدعاء ما يصيب الإنسان من شدة مكفهرة، ومحنة مدلهمة، يعرف أن المُـخَلِصَ له منها من بيده مفاتيح الفرج، رب الأرباب ومسبب الأسباب، فيتوجه إليه؛ براً كان أو فاجراً مسلمًا أو كافراً، لعلمه أن نجاته لا يقدر عليها إلا هو سبحانه، وقد ذكر الله حال من أصابته الشدة من الكفار فتوجه إلىٰ الله في تلك الحال متضرعا بالدعاء، وذلك في سورة الأنعام حيث قال سبحانه: ﴿قُلۡ مَن

(١) ينظر جامع البيان لابن جرير: (١٣/ ٣٥٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٣/ ٥٣٩).

يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٍ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام:٦٣ - ٦٤]، فظلمات البر والبحر شدائدهما، وكانت العرب تقول لليوم الذي تلقىٰ فيه شدة: يوم مظلم، حتىٰ إنهم يقولون: يوم ذو كواكب، أي: قد اشتدت ظلمته حتىٰ صار كالليل، والظلمات مجموعة علىٰ أنها ظلمة البر وظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة الغيم، فإذا أخطأوا الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله إن أنجاهم من هذه المهالك ليكونن من الطائعين، فوبخهم الله علىٰ هذه الحال، من الدعاء الخالص المتضرع في حال الشدة ثم العودة إلىٰ الشرك بعدها[1].

ثالثاً: نزول الشدة تحضيض علىٰ التضرع بالدعاء:

من أسباب التضرع أيضاً نزول الشدائد اختباراً للناس لعلهم يتضرعون، والاختبار والامتحان هو سمة هذه الحياة الدنيا كما قال تعالىٰ: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴾ [الملك:١-٢] فهناك من يجتاز الاختبار ويحسن العمل، وهناك من يخفق ويسيء العمل، والكفار الذين تحدثت عنهم آية الأنعام وآية الأعراف أخفقوا ولم يتضرعوا، وقد تهيأت لهم أسباب التضرع، ففي سورة الأنعام قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٣] فقد أرسل الله إلىٰ تلك الأمم الرسل فكذبوا فأخذهم الله بالشدة والفقر والأمراض

(١) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: (٢/ ٣٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٧/ ٨).

والآفات لكي يدعوا الله في كشفها بالتضرع والتذلل، ويتوبوا إليه من كفرهم ومعاصيهم، فهلا إذ جاهم ذلك العذاب تضرعوا، لكن لم يفعلوا ذلك مع قيام ما يحث عليه[1].

***

(١) ينظر: روح البيان لإسماعيل حقي: (٣/ ٣٠).

المبحث السابع
موانع التضرع في القرآن الكريم

كما أن للتضرع أسبابًا تؤدي بالإنسان إليه، فكذلك هناك موانع تحول بين الإنسان والتضرع، وتمنعه منه، ويمكن التماسها في الآيات وتصنيفها إلىٰ أربعة موانع كما يلي:

المانع الأول: قسوة القلوب:

جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)[1] فمدار صلاح الإنسان وفساده متوقف علىٰ صلاح قلبه أو فساده، وقد ذكر الله تعالىٰ في كتابه أن من القلوب ما تكون قسوتها مماثلة لقسوة الحجارة أو أشد قسوة، وذلك في وصف قلوب بني إسرائيل حيث قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة:٧٤]، وهذه القسوة مانعة من التضرع كما قال تعالىٰ: ﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ [الأنعام: ٤٣] فبين تعالىٰ أن مما صرفهم عن التضرع ومنعهم منه قسوة قلوبهم، حيث صلبت قلوبهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من استبرأ لدينه، حديث رقم: (٥٢)، (١/ ٢٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم: (١٥٩٩)، (٣/ ١٢١٩).

وغلظت، وهذا تعبير عن الإصرار علىٰ الكفر والمعاصي[1].

المانع الثاني: تزيين الشيطان:

أخذ الشيطان علىٰ نفسه العهد بتزيين الكفر والمعاصي لبني آدم مهما استطاع إلىٰ ذلك سبيلاً، وقد ذكر الله ذلك عنه بقوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠]؛ فأقسم اللعين بإغواء بني آدم ما داموا في الدنيا، وتزيينه إما بتحسين المعاصي وإيقاعهم فيها، أو بشغلهم بزينة الدنيا عن فعل ما أمرهم الله به فلا يلتفتون إلىٰ غيرها، إلا الذين أخلصهم الله له، أو أخلصوا له العبادة[2].

وأضيف تزيين الشيطان إلىٰ قسوة القلوب في آية الأنعام السابق ذكرها في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[الأنعام: ٤٣] أي حسن لهم الشيطان الكفر والمعاصي بأن أغواهم ودعاهم إلىٰ اللذة والراحة، دون التفكر والتدبر بعواقب الأمور، ولم يخطر ببالهم أن ما اعتراهم من البأساء والضراء بسبب كفرهم ومعاصيهم[3].

المانع الثالث: الشرك والاستكبار عن الحق:

سبق أن المشرك قد يلجأ إلىٰ الله عند احتدام الضرورة، مثل أن يكون في ظلمات البحر وتعصف به الشدائد، فيتضرع إلىٰ الله لكشف ما نزل به، ولكنه يعود بعد أن أنجاه الله إلىٰ ما كان عليه من الشرك، وهذا يدل علىٰ إقامته علىٰ عبادة غير الله، وأن

(١) ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي: (٢/ ٦٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٦/ ٤٢٥).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٤/ ٥٣٥)، فتح القدير للشوكاني: (٣/ ١٥٨).

(٣) ينظر: روح البيان لإسماعيل حقي: (٣/ ٣٠).

دعاءه لدفع الضرر فقط، ولم يكن عن إيمان ويقين، فالذي منعه من تضرع أهل الإيمان ما عنده من الشرك، كما قال تعالىٰ في الآيتين اللتين سبق ذكرهما من سورة الأنعام؛ قوله تعالىٰ: ﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٣ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٍ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام:٦٣-٦٤] فالمشركون جعلوا الشرك بدلاً من الشكر علىٰ إنجاء الله لهم؛ فكأنهم لم يعبدوا الله ولم يدعوه، يقول البيضاوي: «وإنما وضع تشركون موضع لا تشكرون، تنبيهاً علىٰ أن من أشرك في عبادة الله ﷻ فكأنه لم يعبده رأساً»[1].

وفي موضع آخر جاء أن المشرك لا يخضع ولا يلين عند الشدائد ويستكبر عن التضرع، وهذا كما سبق في آية سورة المؤمنون التي جاء الحديث فيها عن كفار قريش وما أصابهم من الجوع والقحط والقتل بالسيف، ومع ذلك لم يتضرعوا في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون:٧٦]، وفيها بيان سبق إصرارهم علىٰ الشرك والإعراض عن الالتجاء إلىٰ الله وعدم الاتعاظ والاعتبار بأن ما حل بهم من العذاب هو جزاء شركهم[2].

المانع الرابع: الغفلة:

الغفلة هي ترك الشيء والسهو عنه، قال ابن فارس: «الغين والفاء واللام أصل صحيح يدل علىٰ ترك الشيء سهواً، وربما كان عن عمد، ويقولون لكل ما لا معلم له: غُفْلٌ، كأنه غُفِلَ عنه، فيقولون: أرض غُفْلٌ: لا علم بها. وناقة غُفْلٌ: لا سمة عليها.

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي: (٢/ ١٦٦).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور: (١٨/ ١٠٠).

ورجل غُفْلٌ: لم يجرب الأمور»[1]، والغفلة: عبارة عن عدم التفطن للشيء وعدم عقليته بالفعل، سواء بقيت صورته أو معناه في الخيال، أو الذكر، أو انمحت عن أحدهما، والغفلة أعم من النسيان، لأنه عبارة عن الغفلة عن الشيء مع انمحاء صورته أو معناه عن الخيال، أو الذكر، بالكلية[2]، وقد قال الله تعالىٰ في ذم أصحاب الغفلة: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٩] غافلون عما فيه صلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وهم طبقات في درجات الغفلة[3].

وجاء في إحدىٰ آيات التضرع التي فيها الحث علىٰ الذكر بتضرع إلىٰ الله التحذير من الغفلة، وذلك في آية سورة الأعراف عند قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:٢٠٥] فالمعنىٰ أنك إذا كنت من الغافلين فلن تكن من الذاكرين، فالتحذير من الغفلة لمنعها الذكر والتضرع فيه، يقول القاسمي: «نهىٰ تعالىٰ عن الغفلة عن ذكره بقوله: ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ أي من الذين يغفلون عن ذكر الله، ويلهون عنه، وفيه إشعار بطلب دوام ذكره تعالىٰ، واستحضار عظمته وجلاله وكبريائه، بقدر الطاقة البشرية»[4].

***

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: (٤/ ٣٨٦)، وينظر: تاج العروس للزبيدي: (٣٠/ ١٠٨).

(٢) ينظر: معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: (٣٨٩).

(٣) ينظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: (٩/ ٣٦٠).

(٤) محاسن التأويل للقاسمي: (٥/ ٢٤٨).

المبحث الثامن

تضرع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في القرآن الكريم

نبينا محمد ﷺ أعرف الناس بربه، وهو سيد ولد آدم، فهو سيد المتضرعين، وورد في تضرعه يوم بدر عند قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩] كما جاء في الصحيح من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: (لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلىٰ المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه، ماداً يديه مستقبل القبلة، حتىٰ سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه علىٰ منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩] فأمده الله بالملائكة)[1]، وهل هذه الاستغاثة من النبي ﷺ أم من جماعة المؤمنين علىٰ قولين للمفسرين، وجمع بينهما ابن عادل فقال: «ويمكن الجمع بينهما بأن النبي ﷺ دعا وتضرع، والمؤمنون كانوا يُؤمِّنونَ علىٰ دعائه»[2].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، حديث رقم: (١٧٦٣)، (٣/ ١٣٨٣).

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل: (٩/ ٤٦٠).

وفي سورة الأنبياء ذكر الله تعالىٰ قصص عدد من الأنبياء وبين دعواتهم إلىٰ أن جاءت قصة زكريا عليه السلام حيث قال الله تعالىٰ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠] والضمير في (إنهم) قيل: إنه يعود علىٰ زكريا عليه السلام وأهله وولده، وقيل: يعود علىٰ جميع الأنبياء السالف ذكرهم في السورة، وهو ما ذهب إليه البغوي، والقاسمي، وابن سعدي حيث قال القاسمي في تفسيره للآية: «﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ تعليل لما فصل من فنون إحسانه تعالىٰ، المتعلقة بالأنبياء المذكورين، أي كانوا يبادرون في كل باب من الخير، وإيثار (في) علىٰ (إلىٰ) للإشارة إلىٰ ثباتهم واستقرارهم في أصل الخير؛ لأن (إلىٰ) تدل علىٰ الخروج عن الشيء والتوجه إليه ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ﴾ أي ذوي رغب ورهب، أو راغبين في الثواب راجين للإجابة ﴿وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ أي مخبتين متضرعين»[1].

والأنبياء الذين ورد ذكرهم في سورة الأنبياء وقيل بأن الضمير يعود عليهم منهم من جاء له دعوة واستجاب الله دعاءه، ومنهم من ورد ذكره بدون ذكر الدعاء، وهم حسب ورودهم في السورة: موسىٰ وهارون ثم إبراهيم ولم يذكر لهم دعاء، ثم نوح وذكر له دعاء وإجابة، ثم داود وسليمان ولم يذكر لهما دعاء، ثم أيوب وذكر له دعاء وإجابة، ثم إسماعيل وإدريس وذو الكفل ولم يذكر لهم دعاء، ثم يونس وذكر له دعاء

(١) محاسن التأويل للقاسمي: (٧/ ٢٢٠)، وينظر: معالم التنزيل للبغوي: (٥/ ٣٥٣)، زاد المسير لابن الجوزي: (٣/ ٢١١)، اللباب لابن عادل: (١٣/ ٥٨٧)، تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي: (٥٣٠).

وإجابة، ثم زكريا وذكر له دعاء وإجابة، وختموا بمريم وابنها عيسىٰ ولم يذكر له دعاء، عليهم وعلىٰ نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام.

***

المبحث التاسع
حديث القرآن الكريم عن التضرع

وقبل الختام يحسن بيان حديث القرآن الكريم عن التضرع، والقرآن الكريم قد أعجز بفصاحته البلغاء، وبلغت معانيه الغاية في الوضوح والنقاء؛ وكل كلمة منه قد جاءت في مكانها المناسب فلو أدير لسان العرب كله لما وجد أكثر منها استقراراً في مكانها؛ كما أنها تتناسب مع مقاصد السورة التي وردت فيها، ومع أغراضها، وقد جاءت لفظة التضرع في سبعة مواضع في ثلاث سور: (الأنعام، الأعراف، المؤمنون)، كلها مكية[1]، ووردها في السور المكية؛ يظهر الدلالة علىٰ الرباط الوثيق بين الدعاء والذكر اللذين هما من أجل العبادات؛ وأشدهما ارتباطًا بالمعتقد، وبين طبيعة السور المكية التي تعتني عناية كبيرة بتثبيت العقيدة، وسأعرض لأغراض السور الثلاث ومقاصدها المرتبطة بالتضرع وأبين وجه هذا الارتباط علىٰ النحو الآتي:

أولاً: سورة الأنعام، فقد ورد لفظ التضرع فيها ثلاث مرات في ثلاث آيات؛ حيث جاء موضعان متواليان في آيتين متتاليتين وهما قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ۝٤٢ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٣]، والحديث فيهما عن الأمم السابقة التي كذبت رسلها، ثم الموضع الثالث في قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: (٧/ ١٢١)، (٨/ ٦)، (١٨/ ٥).

[الأنعام:٦٣]، والخطاب في هذه الآية للمشركين، ومن أغراض سورة الأنعام إثبات أن الله سبحانه هو المتفرد بالإلهية، وإبطال تأثير الشركاء من الأصنام والجن بإثبات أنه المتفرد بالخلق، ولا تملك آلهتهم المزعومة تصرفا ولا علمًا، وتنزيه الله عن الولد والصاحبة؛ ففي سورة الأنعام كل قواعد التوحيد(١)، وكما مر في بدايات هذا البحث أن الدعاء معظم العبادة؛ فلا يجوز صرفه إلا لله وحده لا شريك له، والتضرع فيه شدة الافتقار إلىٰ الله في الدعاء؛ وهذا الذي لم يفعله الكفار في الآيتين الأوليين، وفي الآية الأخيرة فعلوه لحاجة لا للتعبد؛ لأنهم بعد النجاة أشركوا.

ومقصود السورة الاستدلال علىٰ الدعوة إلىٰ التوحيد؛ بأن الله سبحانه له جميع الكمالات من الإيجاد والإعدام والقدرة علىٰ البعث وغيره، فهو المستحق للعبادة دون من سواه(٢)، وجاء ذكر التضرع في هذه السورة متسقًا مع هذه الدعوة.

ثانيًا: سورة الأعراف أيضًا ورد اللفظ فيها ثلاث مرات في ثلاث آيات، الموضع الأول في قوله تعالىٰ: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [الأعراف:٥٥]، والأمر فيها موجه للمؤمنين، ثم الموضع الثاني في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف:٩٤]، والخبر فيها عن الأمم التي كذبت الرسل، وأن الله تعالىٰ أخذهم بالشدة ليستكينوا إلىٰ ربهم ويتوبوا إليه، ثم الموضع الثالث في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾[الأعراف:٢٠٥] ، والأمر فيها للنبي ﷺ وأمته تبعًا له.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: (٧/ ١٢٣).

(٢) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: (٧/ ١).

ومن أغراض سورة الأعراف التي تدور عليها مقاصدها النهي عن اتخاذ الشركاء من دون الله، وإنذار المشركين عن سوء عاقبة الشرك في الدنيا والآخرة[1]، والأمر بالدعاء بابتهال وخضوع وإخلاص ينافي الشرك ويضاده، والأمر كذلك في التضرع بالذكر والدوام عليه مما ينافي الشرك ويدل علىٰ إفراد الله بالعبادة، وفي الموضع الثاني فإن القرىٰ التي أرسل الله إليها رسله ثم لم يؤمنوا؛ قد أخذهم الله بالشدة كي يؤمنوا ويفردوه بالعبادة التي من أعظمها التضرع بالدعاء.

ثالثًا: سورة المؤمنون وقد ورد لفظ التضرع في موضع واحد من السورة في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون:٧٦]، والخبر فيها عن المشركين وما أنزل الله بهم من الجوع والشدة ثم إنهم لم يخضعوا لربهم ويتوجهوا إليه بالتذلل والدعاء.

ومن أغراض سورة المؤمنون التي تدور عليها مقاصدها اختصاص المؤمنين بالفلاح، والسورة تدور آياتها حول محور تحقيق الوحدانية وإبطال الشرك ونقض قواعده، والتنويه بالإيمان وشرائعه، وقد أراهم الله مقدمات العذاب؛ لعلهم يقلعون عن العناد فأصروا علىٰ إشراكهم[2]، والإخبار عن حال المشركين واستمرارهم علىٰ شركهم، وعدم خضوعهم لله بالدعاء والتضرع فيه عند نزول مقدمات العذاب من الجوع وغيره متسق مع أغراض السورة ومقصدها؛ إذ بتبيين الضد يظهر الحال؛ فإن ظهور حال المشركين الذين لم يتضرعوا يوضح حال المؤمنين الخاشعين المبتهلين

(١) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: (٧/ ٣٤٧)، التحرير والتنوير لابن عاشور: (٨/ ٨).

(٢) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: (١٣/ ١٠٥)، التحرير والتنوير لابن عاشور: (١٨/ ٧)، التفسير الواضح للحجازي: (٢/ ٦١١).

إلىٰ الله بالدعاء.

أما صيغ ورود لفظ التضرع فقد ورد في سبعة مواضع ثلاثة منها بصيغة المصدر: ﴿تَضَرُّعًا﴾، وثلاثة بصيغة المضارع: ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾ مع ملاحظة أن موضع ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾ في سورة الأعراف قد أدغمت التاء فيه بالضاد؛ كما قال بذلك الزجاج[1]، وموضع واحد جاء بصيغة الماضي: ﴿تَضَرَّعُواْ﴾[2].

***

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج: (٢/ ٣٥٩).

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل: (٩/ ٤٤٠)، (١٤/ ٢٤٥)، والجدول في إعراب القرآن لمحمود صافي: (٧/ ١٤٣-١٤٤، ١٧٥)، (٨/ ٤٣٣)، (٩/ ١٥، ١٦٤).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد خير من صلىٰ وصام، ووقف بين يدي ربه متضرعاً مبتهلاً، وعلىٰ آله وصحابته الكرام، وبعد كتابة هذا البحث ظهر لي **نتائج** أجملها فيما يلي:

١- أن التضرع يكون في حال لين قلب العبد وخشوعه وخضوعه لله تعالىٰ مع التذلل والانقياد لأمره سبحانه.

٢- التضرع ليس مقصورا علىٰ الدعاء بل يكون أيضاً في الذكر، لورود ذلك صريحاً في القرآن الكريم.

٣- أن الإخلاص والإخبات لله تعالىٰ لا يناقض التضرع؛ بل هو ملازم له، لأن الله قرن بين التضرع وإخفاء الدعاء.

٤- أن التضرع يكون من المؤمن والكافر، لكن الكافر إنما يتضرع في حال شدة الضرورة، ثم إذا انكشف ما به عاد لسالف عهده من الجحود والكفر.

٥- من أسباب التضرع الاستجابة لأمر الله، ونزول الشدائد؛ سواء كانت لاختبار مدىٰ تضرع الناس، أو كانت من النوازل التي ألجأتهم إلىٰ التضرع.

٦- أن من موانع التضرع قسوة القلوب وغفلتها، وتزيين الشيطان لأوليائه أعمالهم ليستمروا علىٰ كفرهم وعنادهم.

٧- أن الله تعالىٰ وصف أنبياءه ورسله في حال دعائهم بما يبين خشوعهم وتضرعهم، ثم إنه أعقب ذلك ببيان استجابته لهم.

٨- ارتباط التضرع ارتباطاً وثيقاً بأغراض السور التي ورد فيها وبمقاصدها،

مما يظهر الوحدة الموضوعية للتضرع في القرآن الكريم.

التوصيات:

١- العناية بأعمال القلوب ومنها التضرع والخشوع، لما فيها من تزكية النفوس والسمو بها، والارتفاع عن الرذائل والمنكرات.

٢- الحرص علىٰ إخلاص العمل، ولا منافاة بين التضرع والإخفاء في الذكر والدعاء.

٣- يجب علىٰ المربين والمعتنين بشأن الدعوة حث من تحت أيديهم علىٰ سلوك المسلك الصحيح في الذكر والدعاء.

٤- العناية بالدراسة الموضوعية للقرآن الكريم، واستخراج دقائقها، وبيان ارتباط معانيها بمبانيها، ليظهر ما في القرآن من الإعجاز البياني الدال علىٰ مصدره، وأنه تنزيل من حكيم عليم.

٥- العناية بالاقتداء بالنبي محمد ﷺ في التضرع في الذكر والدعاء، وكذا بقية الأنبياء والرسل وما جاء من وصف تضرعهم في القرآن الكريم.

وفي الختام أحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه علىٰ ما يسر من إتمام هذا البحث الذي بذلت فيه قصارىٰ جهدي للوصول فيه إلىٰ بناء ثابت الأركان قائم علىٰ قواعد البحث العلمي، مستخلصاً له من كتب التفسير واللغة وغيرها، لبيان التضرع في القرآن الكريم، وبيان معناه وما يؤخذ منه من الفوائد، فالحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبد الله ورسوله محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

***

ثبت المصادر والمراجع

- الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثالثة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- الأذكار، ليحيىٰ بن شرف النووي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ.
- إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم، لمحمد بن محمد العمادي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- الاعتداء في الدعاء (صور وضوابط ونماذج من الدعاء الصحيح)، لسعود بن محمد العقيلي، دار كنوز أشبيليا، بدون تاريخ.
- الأعلام، قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لمحمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، الطبعة السادسة، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبد الله بن عمر البيضاوي، نشر دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
- بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: علي محمد العمران، الطبعة الأولىٰ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادىٰ، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد المصري، الطبعة الأولىٰ، نشر جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ١٤٠٧هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضىٰ الحسيني الزبيدي، نشر دار الهداية، بدون تاريخ.

- التأريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: السيد هاشم الندوي، نشر دار الفكر، بدون تاريخ.
- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- التعريفات الفقهية، لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية، باكستان، ١٤٢٤هـ.
- التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، الطبعة الأولىٰ، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- تفسير القرآن العظيم، لعبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، نشر المكتبة العصرية، لبنان، بدون تاريخ.
- تفسير السمرقندي، لنصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: محمود مطجي، نشر دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
- التفسير الكبير. أومفاتيح الغيب، لمحمد بن عمر الرازي، الطبعة الأولىٰ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.
- تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، الطبعة الثانية، دار المنار، القاهرة، ١٣٦٦هـ.
- التفسير الواضح، لمحمد محمود حجازي، الطبعة العاشرة، دار الجيل الجديد، بيروت، ١٤١٣هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر بن سعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، نشر دار الشعب، القاهرة، بدون تاريخ.

- الجدول في إعراب القرآن وصرفه، لمحمود صافي، دار الرشيد، دمشق، بدون تاريخ.
- روح البيان، لإسماعيل حقي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
- زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- سنن ابن ماجة، لمحمد بن يزيد القزويني تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث، أبو داود السجستاني، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، نشر دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسىٰ الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- السنن الكبرىٰ، لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، الطبعة الأولىٰ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
- شرح الدعاء من الكتاب والسنة، لماهر بن عبد الحميد بن مقدم، مطبعة سفير، الرياض، بدون تاريخ.
- شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، بدون تاريخ.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميري، تحقيق: حسن العمري ومطهر الأرياني ويوسف محمد عبدالله، الطبعة الأولىٰ، دار الفكر المعاصر، بيروت ودمشق، ١٤٢٠هـ.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفىٰ البغا، الطبعة الثالثة، نشر دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بدون تاريخ.

- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، نشر دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمد بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- الكشف والبيان، لأحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: ابن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، الطبعة الأولىٰ، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد البغدادي المشهور بالخازن، نشر دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- اللباب في علوم الكتاب، لعمر بن علي بن عادل، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، الطبعة الأولىٰ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، تحقيق: طلعت فؤاد الحلواني، الطبعة: جـ ١، ٢/ الثانية، جـ ٣/ الأولىٰ، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبدالحق بن غالب بن عطية، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، الطبعة الأولىٰ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.
- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البستي، بترتيب علاء الدين بن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ.
- المختصر في تفسير القرآن الكريم، لجماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة: الثالثة، ١٤٣٦هـ.

- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لعبدالله بن أحمد النسفي، مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ.
- مسند الإمام أحمد، لأحمد بن حنبل الشيباني، نشر مؤسسة قرطبة، مصر، بدون تاريخ.
- مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- معالم التنزيل، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك، نشر دار المعروفة، بيروت، بدون تاريخ.
- معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل المعروف بالزجاج، تحقيق: عبدالجليل شلبي، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ.
- معجم الفروق اللغوية، للحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيىٰ بن مهران العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، الطبعة الأولىٰ، ومؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٢هـ.
- المفردات في غريب القرآن، للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، نشر دار المعرفة، لبنان، بدون تاريخ.
- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس الرازي، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام الحرم المكي وخطيبه، الطبعة الرابعة، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

***

List of Sources and References

- Maani AlQuraan Wa Eraboh, Ibrahim bin Alsari bin Sahel known as Alzajaj, Verified by: Abduljalil Shalabi, Dar Alhadith publication, Ciro, 1426 Hijri.
- Nadhm Aldorar Fe Tnasub Alaayat Wa Alsor, Ibrahim bin Omar bin Hasan Alrebat bin Ali bin Abe Bakr Albokaey, Dar Aketab Aleslami, Ciro.
- Masnad AlImam Ahmad, Ahmad bin Hanbal AlShaibani, Qurtuba institution publication, Egypt, no date.
- Alsonan Alkubra.Ahmad bin Shuaib Alnasaey, Verified by: Abdulgaffar Sulaiman Albandari, First print, published by Dar Alkotob AlElmiah, Beirut, 1411 Hijri.
- Maqayees Allogah.Ahmad bin Faris Alrazi, Verified by: Abdelsalam Haroon, Dar Elfeker, 1399 Hijri.
- Alkashf Walbayan, Ahmad bin Mohammad Althalabi, Verified by: Ibn Ashoor, Reviewed by: Nadheer Alsaedi, First print, Published by Dar Ehya Alturath alarabi, Beirut, 1422 Hijri.
- Almesbah Almuneer Fe Ghareeb Alsharh Alkabeer, Ahmad bin Mohammad bin Ali Alfayyomi Thom Alhamawi, Almatabah AlElmeiah, Beruit, no date.
- Tafsser AlQuraan AlAdheem,Esmaeil Bin Omar Bin Katheer, Dar Elfeker, Beirut, 1401 Hijri.
- Rooh Albayan, Esmaeil Haqi, Dar Elfeker, Beirut, no date.
- Almoktasar fe tfseer alquraan alkreem,Group of interpretation scholars, Supervised by: Markaz tfseer le aldrasat alquraanyh, Print: Third, 1436 Hijri.
- Moajam Alforoq Allaqawiah, Alhasan bin Abdullah bin Sahal bin Saeed bin Yahya bin Mahran Alaskari, Verified by: Alshaik Baituallah Bayat, First print, Alnashr AlEslami institiuation, 1412 Hijri.
- Almofradat fe Qhareeb AlQuraan, Alhusain bin Mohammad Known as Alraqib AlAsfahani, Verified by: Mohammad Sayed Alkelani, Published by: Dar Almarifah, Lebanon, no date.
- Maalem Altanzeel,Alhusain bin Masaod Albaghawi, Verified by: Khalid Abdulrahman AlAak, Published by: Dar Almarifah, Beirut, no date.
- AlEatida fe Alduaa(Sowar wa Dhawabed wa Namathej men Alduaa AlSahih), Saud bin Mohammad Alaqeeli, Dar Konoz Ashbelia, no date.
- Shorot AlDuaa wa Mawanea AlEjaba fe Dhoua AlKetab wa Alsunnah, Saeed bin Ali bin Wahaf Alqahtani, Safeer Press. Riyadh, no date.
- Sonan Abi Dawood, Sulaiman bin AlAshaath, Abu Dawood Alsujestani, Verified by: Mohammad Mohiee Aldeen Abdulhameed, Published by Dar Alfeker, Bireut, no date.
- Moajmooa Rasail Alhafedh ibn Rajab Alhanbali, Abdulrahman bin Ahmad bin Rajab bin Alhasan, Verified by: Talaat Foa'ad Alhalawani, Print: Part1,2 second print, Part 3 first print. Published by: Alfarooq Alhaditha for Printing and Publishing. 1424 Hijri, 2003 A.D.
- Zad Almaseer fe Elm Altafseer, Abdulrahman bin Ali bin Mohammad ibn Aljauzi, Third print, published by: Almaktab AlEslami, Beirut, 1404 Hijri.

- Tafseer AlQuraan AlAdheem, Abdulrahman bin Mohammad bin Abi Hatem Alrazi, Verified by: Asa'ad Mohammad Altayeb, Published by Almaktabah AlAsryah, Lebanon, no date.
- Anwar Altanzeel wa Asrar Altaweel, Abdullah bin Omar Albaydhawi, Published by: Dar Elfeker, Beirut, no date.
- Almoharrer Alwajeez fe Tafseer Alketab Alaziz, Abdelhaq bin Ghalib bin Ateyeh, Verified by: Abdelsalam Abdelshafi Mohamad, fist print, Pulished by: Dar Alkotob AlElmiah, Beirut 1413 Hijri,
- Tayseer Alkareem Alrahman fe Tafseer Kalam Almannan, Abdulrahman bin Nasser bin Saadi, Alresalah instituation, Beirut, 1421 Hijri.
- Madarek Altanzeel wa Haqa'eq Alta'aweel, Abdullah bin Ahmad Alnasfi, Alresala institution, no date.
- Nadrah alnaeem.Number of specialists supervised by sheikh/Saleh bin Abdullah bin Hameed Imam and khateeb of haram makkie,fe mkarm aklak alrsool alkreem - peace be upon him, fourth print, dar alwaseelah for publications, jeddah.
- Lebab Alta'aweel fe Ma'ani Altanzeel,Alaa Addin Ali bin Mohammad Albaqhdadi known as Alkhazen, Published by: Dar Elfeker, Beirut, 1399 Hijri.
- Alta'arefat, Ali bin Mohammad Aljarjani, Verified by: Ibrahim AlEbyari, First print, Published by: Dar Alketab AlArabi, Beirut, 1405 Hijri.
- Allebab fe Olom AlKetab, Omar bin Ali bin Adel, Verified by: Adel Ahmad Abdelmawjood and Ali Mohammad Mawadh, First print, Published by Dar Alkotob AlElmiah, Beirut, 1419 Hijri.
- Sharh Alduaa min Alketab Wa Alsunnah,Maher bin Abdulhameed bin Muqdem, Safeer press, Riyadh, no date.
- Altahrir Wa Altanweer, Mohammad Altaher bin Aashor, Dar Sahnon for publication and distribution, Tunisia, 1997 A.D.
- Badaea Alfawa'ed, Mohammad bin Abi Baker bin Ayob bin Qayem AlJaouzeyah, Verified by: Ali Mohammad Alomran, First print, Dar Alam Alfawaed, Makkah Almukarramah, 1425 Hijri.
- Aljame'a Le'hkam AlQuran, Mohammad bin Ahmad Alqurtobi, published by Dar Alshab, Ciro, no date.
- Aladab Almofrad, Mohammad bin Ismail Albukhari, Verified by: Mohammad Foad Abdelbaqi, Third print, Published by: Dar Albasha'er AlEslamiah, Beirut, 1409 Hijri.
- AlTaarikh AlKabeer,Mohammad bin Ismail Albukhari, Verified by: AlSayed Hashim Alnadawi, Published by: Dar Alfeker, no date.
- Sahih Albukhari,Mohammad bin Ismail Albukhari, Verified by: Mustafa AlBagha, Third print, Published by: Dar Ibn Katheer, Beirut, 1407 Hijri.
- Jame' Albayan An Taweel Ay AlQuraan, Mohammad bin Jarir Altabari, Published by: Dar Alfeker, Beirut, 1405 Hijri.
  Sahih bin Habban Mohammad bin Habban Albasti, Betartib Alaa Addin bin Balban, Verified by: Shuaib Alarnaood, Second print, Published by: Alresalah institution, Beirut, 1414 Hijri.

- Meshkat Almasabeeh,Mohammad bin Abdullah Alkhatib Altabrazi, Verified by: Mohammad Naser Addin Alalbani, Third print, Almaktab Aleslami, Beirut, 1405 Hijri.
- Fatah Alqadeer Aljame'a bain Fanni Alrewayah wa Alderayah men Elm Altafseer,Mohammad bin Ali bin Mohammad AlShawkani, Published by: Dar Alfeker, Beirut, no date.
- Altafseer Alkabeer.Mohammad bin Omar Alrazi, First print, published by Dar Alkotob Alelmiyah, Beirut, 1421 Hijri.
- Alkashaf an Haqa'eq Altanzeel wa Oyoon Alaqaweel fe Wojooh AlTaweel,Mohammad bin Omar AlZamakhshari, Verified by: Abdulrazzaq Almahdi, Published by: Dar Ehya Alturath Alarabi, Beirut, no date.
- Sonan Altharmathi, Mohammad bin Essa Altarmathi, Verifed by: Ahmad Mohammad Shaker and others, Dar Ehya Alturath Alarabi, Beirut, no date.
- Ershad Alaqel Alsaleem Ela Mazaya Alquran Alkareem, Mohammad bin Mohammad Alamadi, Published by Dar Ehya Alturath Alarabi, Beirut, no date.
- Sonan Ibn Majah, Mohammad bin Yazeed Alqazwini, verifid by: Mohammad Foad Abdelbaqi, Published by Dar Alfeker, Beirut, no date.
- Basaer Thaoy Altamyeez fe lata'ef Alketab Alaziz,Mohammad bin Yaqoob Alfairoozabady, Verified by: Mohammad Ali Alnajjar, Published by: Almajles Alaala for Islamic Affairs, Ehyaa Alturath Alislami committee, Ciro, no date.
- Albalaghah fe Tarajem Aa'emat Alnahw wa Alloghah,Mohammad bin Yaqoob Alfairoozabady, Verified by: Mohammad Almasri, First print, Published by: Ehya Alturath Alarabi instituation, Kuwait, 1407 Hijri.
- Mahasen Altaweel,Mohammad Jamal Addin Alqasimi, Verfied by: Mohammad Foad Abdulbaqi, Dar Ehya Alturath Alarabi, Beirut, 1422 Hijri.
- Tafseer Almanar, Mohammad Rasheed Redha, second print, Dar Almanar, Ciro, 1366 Hijri.
- Tuhfat Alahwathi be Sharh Jame' Mohammad Abdulrahman bin Abdelraheem Almubarkfoory, AlTarmathi, Published by: Dar Alkotob AlElmiyah, Beirut, no date.
- Altaarefat Alfeqhiah,Mohammad Amim Alehsan Almujadedi Albarkati, first print, Dar Alkotob Alelmiah, Pakistan, 1424 Hijri.
- Mohammed Mahmood Hijazi, Altfseer Alwadeh, tenth print Dar Algeel Algadeed Beirut 1413 Hijri.
- Taj Alaroos men Jawaher Alqamoos,Mohammad Murtadha Alhusaini Alzubaidi, Published by Dar Alhedaiah, no date.
- Sahih Aljamea Alsaqir wa Zeyadatoh,Mohammad Naser Addin Alalbani, Almaktab Aleslami, no date.
- Alaalam, Qamoos wa Tarajem Le Ash'har Alrejal wa Alnessa men Alarab wa Almustaa'rebeen wa Almustashreqeen,Mohmood bin Mohammad bin Ali bin Fares Alzarkaly, sixth print, Published by: Dar Alelm Le Almalayeen, Beirut, 1984 A.D.

- Algdwl Fe Erab Alquran Wa Sarfeh, Mahmood Safi, Dar Alrsheed Damascus, no date.
- Sahih Muslim, Muslim bin Alhajjaj Alqashiri Alnesabori, Verified by: Mohammad Foad Abdelbaqi, Published by: Dar Ehya Alturath Alarabi, Beirut, no date.
- Shams Aloloom wa Duaa Kalam Alarab men Alkoloom, Nashwan bin Saeed Alhamiri, Verified by: Hasan Alomari and Mutaher Alariyani and Yousef Mohammad Abdullah, first print, Dar Alfeker Almua'aser, Beirut and Damascus, 1420 Hijri.
- Tafseer Alsamarqandi, Naser bin Mohammad Alsamarqandi, Verified by: Mohmoud Mdhji, Published by: Dar Alfeker, Beirut, no date.
- Alathkar, Yahya bin Sharaf Alnawawi, Verified by: Abdelqader Alarna'ood, Dar Alfeker for printing and publishing and distribution, Beirut, 1414 Hijri.

❊ ❊ ❊